# النحاة والاستشهاد بالقراءات القرآنية

محمد الحسن مختار بلال[١]

أحمد عثمان فضيل حسن[٢]

## المستخلص

مثل القرآن الكريم أوثق نص لغوي في العربية ، فقد نال الحظوة العالية من العناية والضبط والدقة في الأداء منذ زمن الرسول r ومن بعده أصحابه، ولا شك أن علماء النحو لعبوا دورا مهما في خدمته وإن اختلفت وجهات نظرهم في توجيه بعض القراءات القرآنية، فذهب بعضهم إلى قبول القراءة وأخضع القاعدة للنص القرآني وذهب فريق إلى قبول هذه القراءة مع مخالفاتها للقياس ولكن لا يقاس عليها، وذهب فريق ثالث إلى تخطئة القراء الثقات واتهامهم باللحن ما لم تستقر قراءاتهم مع قاعدتهم وقياسهم، تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور علماء النحو وعنايتهم بالقرآن الكريم والتعرف على مفهوم القراءات وشروط قبولها وكذلك التعرف على توجيه القراءات في ضوء اللغة العربية، كما أن أهمية هذه الدراسة لها ثمة ارتباط وثيق بين النحو والقراءات القرآنية من جهة وبين اللهجات العربية القديمة والقراءات من جهة أخرى، ومن أهم النتائج التي توصل لها الباحثان كان من حكمة نزول هذه القراءات أن يسرت تلاوة الوحي الكريم والتعامل معه على الرغم من أن اللسان العربي تعددت لهجاته على نحو واسع.

## ABSTRACT

The holy Quran represents an authentic linguistic text in Arabic language which has won a sublime status in terms of its orthography and precision in recitation performance from the time of the Prophet (peace be upon him) and after, by his companions. There is no doubt that the Arabic grammar scientists had played an important role to service the Quran, despite their different perspectives in guiding some of its recitation methods. Some of them had accepted the given method of recitation but subjected the rule to the Qur'an text; others however, went to the acceptance of this reciting of the given letter despite the violation of the measurement upon which rules are verified. Additionally, a third party went to falsify the faulted reciting of that letter when read differently from the trustworthy known one; thus, accusing the ”lahn” even they are trustworthy making an erratic reading “Lahn” unless it conforms to the rules and measurements. This study aims to present the role Arabic grammar scientists and their care of holy Quran and concept of recitation and the rules of their acceptance, and also the study aims towards identification of recitations in the light of Arabic language. This study also related to the concept of recitation readings and its related conditions of acceptance, the readings amongst the people of Basra and Kofa, and the Muslim sustenance and guidance of the readings in light of the Arabic language. One of the most important results reached by this study was the wisdom of the descent of these readings that facilitated revelation recitation and deal with it despite the fact that the Arab tongue accents widely□

**الكلمات المفتاحية:**

القراءة الشاذة - المتواتر - التخطئة.

---

١ جامعة الامام المهدي- كلية الآداب - قسم اللغة العربية - هاتف: ٠٩٠٨٨٩١٢٦٤ - بريد الكتروني: abotarek000@hotmail.com

٢ جامعة الامام المهدي- كلية الآداب - قسم اللغة العربية- هاتف: ٠١٢٤٠٧٣٣٨٨

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

## المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وأفصح العرب سيدنا محمد r ، جاءت دراستنا هذه لاهتمام العربية بالقراءات القرآنية حيث إننا قصدنا توضيح دور(النحاة والاستشهاد بالقراءات القرآنية) موضحين مفهوم القراءات والمواضيع النحوية التي استشهد بها علماء النحو العربي .

هناك دراسة سابقة بعنوان(منهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن) للباحث سليمان يوسف خاطر(٢٠٠٢) جامعة أم درمان الإسلامية ، ودراسة أخرى بعنوان: حقيقة (رأي البصريين والكوفيين في الاستشهاد بالقراءات القرآنية على قواعدهم النحوية)عبد الفتاح محمد عبوش(٢٠٠٣)، جامعة تعز

تكمن أهمية الدراسة في الارتباط الوثيق بين النحو والقراءات القرآنية والارتباط بينها وبين اللهجات القديمة .

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي يصف الظاهرة كما هي:أي وصف ما هو كائن وتفسيره وتحليله .

المحور الأول : مفهوم القراءات القرآنية وشروط قبولها وأقسامها

القراءات القرآنية هي الوجوه المختلفة التي قرأ بها النبي r بقراءة القرآن قصدا للتيسير والتي جاءت وفقا للهجة من اللهجات العربية أما سبب ورود القراءات على سبعة أحرف للتخفيف على هذه الأمة وإرادة اليسر بها والتهوين عليها ، وتوسعة ، ورحمة ، وخصوصية لفضلها ، وإجابة لقصد نبيها حيث أتاه جبريل فقال له : (إن الله يأمرك أن تقرأ لأمتك القرآن على حرف) ، فقال r :(أسأل الله معافاته ومعونته أن أمتي لا تطيق ذلك، ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف)[١]

ويقول ابن الجزري* : إن النبي r بعث إلى جميع الخلق أحمرها وأسودها عربيها وعجميها ، وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة، وألسنتهم شتى ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها أو من حرف إلى آخر ، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك إلا بالتعليم والعلاج، ولاسيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتابا ...فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لايستطاع ، وما عسى أن يتكلف، وتأبى الطباع [٢]

ثم ينقل ابن الجزري عن ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) قوله : فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه r بأن يقرأ كل أمة بلغتهم وما جرت عليه عاداتهم فالهذلي يقرأ M ´ µ ¶ ¸ ¹ ﴿٥٤﴾ L[٣] يقرأ (عتى) وهو يريد (حتى) والقرشي لا يهمز، والآخريقرأM ¼ ½ ¾ مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ L[٤]بالإشمام وهذا يقرأ(عليهم ومنهم) والآخر يقرأ

---

(١) ابن الجزري، علي بن الكرم بن محمد بن عبد الكريم (١٣٤٥هـ) النشر في القراءات العشر تصحيح علي محمد الضباع ، ج١، دار المكتبة العلمية، بيروت ، لبنان ، ص٢٢.

(*) هو محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري الدمشقي العمري الشيرازي الشافعي، وكنيته أبو الخير. عُرِفَ بابن الجزري، ولد يوم الجمعة ليلة السبت ٢٥ رمضان ٧٥١ الموافق ٣٠نوفمبر١٣٥٠،من أهم تصانيفه تحبير التيسير في القراءات العشر، (مطبوع) ،تقريب النشر في القراءات العشر، (مطبوع)التمهيد في علم التجويد،(مطبوع) ،النشر في القراءات العشر،(مطبوع)منجد المقرئين ومرشد الطالبين، (مطبوع) وفيات الأعيان ابن خلكان(أبو العباس شمس الدين أحمد محمد ابن أبي بكر) تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت ، لبنان، ج٣ ص٥٦٧.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٢٢

(٣) سورة المؤمنون ، الآية ٥٤

(٤) سورة هود، الآية ٤٤



PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

(عليهمو، منهمو) بالصلة إلى غير ذلك، ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا وكهلا لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه .[٥]

أما شروط قبولها يقول الإمام ابن الجزري في أول كتابه النشر: أن كل قراءة تواتر سندها إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، ووافقت خط المصحف العثماني و لو احتمالا ، ووافقت العربية بوجه من الوجوه المعتبرة فتلك هي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها و لا يحل إنكارها سواء نقلت عن الأئمة السبعة أو العشرة وما لم تجتمع فيه هذه الشروط الثلاثة فهي شاذة لا يقرأ بها أيا كان الإمام الذي نقلت عنه[٦].

فالشرط الاول هو صحة الإسناد فالقرآن كله متواتر منقول بواسطة سلسلة من الجموع التي يؤمن تواطئها على الكذب عن طريق الكتابة و المشافهة و الشرط الثاني هو موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا و المراد بالموافقة الاحتمالية ما يكون من نحو ملك و مالك يوم الدين و تعلمون و يعلمون و يغفر و نغفر مما هو مجرد عن النقط و الشكل ولا يشترط في القراءة الصحيحة أن تكون موافقة لجميع المصاحف و تكفي الموافقة لما ثبت في بعضها و ذلك كقراءة ابن عامر و بالزبر و بالكتاب في آل عمران و بإثبات الباء فيهما فإن ذلك ثابت في المصحف الشامي

والشرط الثالث هو موافقة العربية بوجه من الوجوه سواء كان أفصح أم كان فصيحا لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها بالإسناد لا بالرأي فلربما أنكر أهل العربية قراءة من القراءات لخروجها عن القياس و لا يحفل أئمة القراءة بإنكارهم شيئا فإنه ينبغي أن نجعل القراءة الصحيحة حكما على القواعد اللغوية و ليس العكس إذ القرآن هو المصدر الأول لاقتباس قواعد اللغة. و قد قسم بعض العلماء[٧] القراءات اقساما من هذا المنظور نذكر منها: الشاذ وهو ما لم يصح سنده كقراءة M . / 0 1 L [٨] بفتح اللام بصيغة الماضي و نصب يوم. الموضوع وهو ما لا أصل له.

المدرج وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير كقراءة ابن عباس ( ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج فإذا أفضتم من عرفات) فقوله : ( في مواسم الحج)، تفسير مدرج في الآية. فالأنواع الأربعة الأخيرة لا يقرأ بها، والجمهور على أن القراءات السبع من جنس المتواتر و أن غير المتواتر لا تجوز القراءة به في الصلاة ولا في غيره[٩].

المحور الثاني: القراءات بين البصريين والكوفيين

البصريون كانوا لا يحتجون بالقراءات القرآنية إلا في القليل النادر الذي يتفق مع أصولهم ويتناسق مع مقاييسهم ذلك كاستدلالهم مثلا في (كلا) و (كلتا) بقراءة حمزة والكسائي وبيان ذلك أن البصريين يذهبون إلى أن (كلا) و(كلتا) فيهما إفراد لفظي وتثنية معنوية (ملحقالمثنى) الألف فيهما كالألف في عصا ورحا ويستدلون على أن الألف فيهما ليست للتثنية كما أنه يجوز إمالتهما قال تعالى: M كِلَتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا

(٥) ابن قتيبة ،عبد الله بن مسلم (٢٠٠٧م- ١٤٢٨هـ) تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ص٩.

(٦) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، مرجع سابق ص٣٤.

(٧) الملتقى المغربي المغربي للقرآن الكريم ،http://www.maroc-quran.com/vb / تاريخ المشاهدة ٢٤/نوفمبر ٢٠١٢م.

(٨) سورة الفاتحة ، الآية ٤

(٩) المصدر السابق نفسه



PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ L[١٠] وقوله تعالى: M p q r s t u v w x y z { | } ~ ¢ L قرأهما حمزة، والكسائي، وخلف بإمالة الألف فيهما ، ولو كانت الألف فيهما للتثنية لما جازت إمالتهما ، لأن ألف التثنية لا تجوز إمالتها [١١] كاستدلالهم أيضا على أن (إن) المخففة من الثقيلة تعمل النصب في الاسم في قراءة من قرأ M O P Q R S T U V W X Y Z [ \ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ ¢ L[١٢] في قراءة من قرأ بالتخفيف، وهي قراءة نافع وابن كثير ، وروى أبو بكر عن عاصم بتخفيف (إن) وتشديدها[١٣] هذا والكوفيون لم يتحفظوا في مجال القراءات القرآنية كما تحفظ البصريون ذلك لأنهم رأوا أن القراءات القرآنية سندها الرواية ، وهي من أجل هذا أقوى في مجال الاستشهاد من الشعر وغيره ، لأن شعار الرواة فيها الدقة، والضبط، والإتقان ، ومن ثم كانت في نظرهم مصدرا لتقعيد القواعد ، وبناء الأساليب ،وتصحيح الكلام بغض النظر عن موافقتها للمقاييس المأخوذة أو عدم موافقتها لأنها في ذاتها يجب أن تشتق منها المقاييس وتستمد الأصول [١٤].

ومنهج الكوفيين في الواقع أسلم وأصح في ميدان القراءات من منهج البصريين لأن اتخاذ القراءات مصدرا للاستشهاد يغني اللغة، ويزيد من رصيدها ، والقراءات القرآنية معلوم أنها سجل واف للغات التي نزل بها القرآن الكريم وما دام سندها الرواية ، دعامتها السماع، فهي من أجل هذا أقوى من المصادر الأخرى كالشعر وغيره، لأن رواة القراءات يتحرجون من عدم الدقة فيها على حين لا يبالون بالحرج في غيرها حينما تخون الحافظة ، أو يستبد النسيان، أو يقع على الألسنة، وقد عجب ابن حزم من منطق البصريين إزاء القراءات، فقال : (من النحاة من ينتزع من القدر الذي يقف عليه من كلام العرب ، حكما لفظيا ويتخذه مذهبا ، ثم تعرض له آية على خلاف ذلك الحكم ، فيأخذ في صرف الآية عن وجهها[١٥] ولا عجب أعجب ممن وجد لامرئ القيس، ولزهير، أو لجرير، أو للحطيئة، أو للطرماح، أو لإعرابي أسدي، أو تميمي، أو من سائر أبناء العرب لفظا من شعر أو نثر جعله من اللغة وقطع به ، ولم يعترض عليه ثم إذا وجد لله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاما لم يلتفت إليه، ولا جعله حجة وجعل يصرفه عن وجهه، ويحرفه عن موضعه [١٦]

بقي أن نعرض المسائل التي اختلفت فيها وجهة نظر الفريقين بسبب القراءات منها

١. وقوع الفعل الماضي حالا:

يذهب الكوفيون إلى أن الفعل الماضي يجوز أن يقع حالا واحتجوا بقوله تعالى M w x y z L[١٧] فحصرت فعل ماض وهو في موضع الحال ، وتقديره حصرة صدورهم، والدليل على صحة هذا التقدير

---

(١٠) سورة الكهف ، الآية ٣٣

(١١) ابن الأنباري، كمال الدين ابو البركات عبد الرحمن (١٩٨٥م) الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، دار الكتب العربية ، القاهرة، ج٢ المسألة ٦٢ ، ص ٤٤٨

(١٢) سورة هود، الآية ١١١.

(١٣) ابن الأنباري ، الإنصاف ،ج٢، مرجع سابق، المسألة ٢٤، ص ١٩٦.

(١٤) سعيد الأفغاني (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، أصول النحو، مديرية الكتب و المطبوعات الجامعية ، ط٢، سوريا ، دمشق، ص٢٩.

(١٥) سعيد الأفغاني، أصول النحو، مرجع سابق، ص ٣٠

(١٦) المرجع السابق، ص ٣١

(١٧) سورة النساء ، الآية ٩٠.



PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قراءة من قرأ (أوجاء وكم حصرة صدورهم) ، وهي قراءة الحسن البصري، ويعقوب الحضرمي ، والمفضل عن عاصم .

أما البصريون فذهبوا إلى أنه لا يجوز أن يقع حالا، وخرجوا الآية التي استدل بها الكوفيون على أربعة أوجه :

الوجه الأول: أن تكون صفة للقوم المجرور في أول الآية .

الوجه الثاني: أن تكون صفة لقوم مقدر، وتكون التقدير فيه (w x y z ) والماضي إذا وقع صفة لموصوف محذوف جاز أن يقع حالا بالإجماع .

الوجه الثالث : أن يكون خبرا بعد خبر ، كأنه قال : (أو جاؤوكم) ثم أخبر فقال: (حصرت صدورهم)

الوجه الرابع: أن يكون محمولا على الدعاء لا على الحال ، كأنه قال : ضيق الله صدورهم كما يقال: جاءني فلان وسع الله رزقه [١٨]

٢. هل تكون (إلا) بمعنى الواو ؟

ذهب الكوفيون إلى أن (إلا) تكون بمعنى الواو، وذهب البصريون إلى أنها تكون بمعنى أو، واحتج الكوفيون لمذهبهم بقوله تعالى: M t u v w x y z { | } ~ وَٱخۡشَوۡنِ وَلِأُتِمَّ ¢ £ ¤ ¥ ¦ L [١٩] أي ولا الذين ظلموا، وأيدوا حجتهم بقراءة بعض القراء M y z { | L مخففا بمعنى مع الذين ظلموا منهم [٢٠]

نقض البصريون دليل الكوفيين في القراءة فقالوا : فأما قراءة من قرأ M z { | L بالتخفيف، فإن صح وسلم لكم ما ادعيتموه على أصلكم من أن(إلا) تكون بمعنى (مع) فليس لكم فيه حجة تدل على أن (إلا) تكون بمعنى الواو لأنه ليس من الشرط أن تكون إحدى القراءتين بمعنى الأخرى ، إذا اعتبرتم هذا في القراءات وجدتم الاختلاف في معانيها كثيرا جدا ، وهذا مما لا خلاف فيه ، وإذا ثبت هذا فيجوز أن تكون قراءة من قرأ (إلا الذين) بالتخفيف بمعنى مع ، وقراءة من قرأ (إلا) بالتشديد بمعنى (لكن) [٢١]

٣. هل فعل الأمر معرب ؟

ذهب الكوفيون إلى أن فعل الأمر المجرد عن حرف المضارعة ــ افعل ــ معرب مجزوم، وذهب البصريون إلى أنه مبني على السكون

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه معرب مجزوم ، لأن الأصل في الأمر للمجرد في النحو مثل: (افعل) لتفعل، كقولهم : في الأمر الغائب (ليفعل) وعلى ذلك قوله تعالى M e f g h i j k L [٢٢] في قراءة من قرأ بالتاء من أئمة القراء وذكرت القراءة أنها قراءة النبي r من طريق أبي بن كعب، ورويت هذه القراءات عن عثمان بن عفان، وأنس بن مالك ، والحسن البصري ...الخ، فثبت أن

---

([١٨]) ابن الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، مرجع سابق ج١ ، المسألة ٣٢، ص٢٥٤.

([١٩]) سورة البقرة ، الآية ١٥٠

([٢٠]) احتج الكوفيون بورود إلى بمعنى مع قوله تعالى (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) أي مع المرافق ، ومع الكعبين ( ومن أنصاري إلى الله) أي مع الله

([٢١]) ابن الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف، المسألة٣٥، ص، ٢٦٦.

([٢٢]) سورة يونس ، الآية ٥٨



PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الأصل في الأمر للمجرد في نحو (افعل) أن يكون باللام نحو : (لتفعل) ، كالأمر الغائب إلا أنه لما كثر استعمال الأمر للمجردفي كلامهم ، وجرى على ألسنتهم أكثر من الغائب استثقلوا مجيء اللام فيه مع كثرة الاستعمال ، فحذفوها مع حرف المضارعة طلبا للتخفيف [٢٣]

أما البصريون فقالوا : إن علة وجود الإعراب في الفعل المضارع وجود حرف المضارعة، فما دام حرف المضارعة ثابتا كانت العلة ثابتة سليمة عن المضارعة كان حكمها ثابتا ولهذا كان قوله تعال : (فبذلك فلتفرحوا) معربا [٢٤]

٤. هل يجوز نقل حركة همزة الوصل إلى الساكن قبلها ؟

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز نقل حركة همزة الوصل إلى الساكن قبلها ، في حين ذهب البصريون إلى أنه لا يجوز ، قال الكوفيون : حكى الكسائي قال: قرأ علًى بعض العرب سورة (ق) فقال M x y z { | } ~ مَعَ ٱللَّهِ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ L [٢٥] بفتح التنوين لأنه نقل فتح همزة (الذي) إلى التنوين قبلها ، وحكى عن بعض العرب M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L [٢٦] بفتح الميم لأنه نقل فتحة همزة (الحمد) إلى الميم قبلها ، وقرأ أبو جعفر ابن يزيد القعقاع المدني وهو من سادات أئمة القراء M v w x y z { | } ~ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ ¢ £ ¤ L [٢٧] فنقل ضمة همزة اسجدوا إلى التاء قبلها فدل على جوازه.

أما البصريون فاحتجاجهم بقوله تعالى : (ألم الله) فلا حجة لهم فيه ، لأن حركة الميم إنما كانت لالتقاء الساكنين وهي الميم واللام من الله، كذلك ما حكاه عن بعض العرب من فتح الميم من (الرحمن الرحيم الحمد لله) لأنه لا وجه للاحتجاج بها ، لأن فتح الميم فتحة إعراب لأنه لما يتكرر الوصف عدل به إلى النصب على المدح ، بتقدير أعني [٢٨]

٥. الحذف والتقدير

قوله تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L [٢٩] روي ابن مجاهد عن ابن عباس أن في مصحف ابن مسعود (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ويقولا ربنا) وفيه:M [ \ ] ^ _ ` L [٣٠] وفيه M « ¬ ® ¯ ° ± L [٣١] قال

---

(٢٣) ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل لخلاف ، المسألة ٧٢ ، ص ٥٢٤.

(٢٤) قال البصريون : إن فعل الأمر مبني على السكون لأن الأصل في الأفعال البناء وهو أن يكون على السكون وإنما أعرب ما أعرب من الأفعال لمشابهة ما بالأسماء، الأنصاف، المسألة ٧٢، ص ٥٢٤

(٢٥) سورة ق، الآيتان (٢٥ ـــ ٢٦)

(٢٦) سورة الفاتحة ، الآية ١

(٢٧) سورة البقرة، الآية ٣٤

(٢٨) ابن الأنباري، الإنصاف ، ج٢ المسألة ، ٧٤، ص٧٤١.

(٢٩) سورة البقرة ، الآية ١٢٧.

(٣٠) سورة الزمر، الآية ٣.

(٣١) سورة الأنعام، الآية ٩٣.

(*) أبو الفتح عثمان بن جني المشهور بابن جني عالم نحوي كبير، ولد بالموصل عام ٣٢٢ هـ، ونشأ وتعلم النحو فيها على يد أحمد بن محمد الموصلي الأخفش ويذكر ابن خلكان أن ابن جني قرأ الأدب في صباه على يد أبي علي الفارسي حيث توثقت الصلات بينهما منأهم تصانيفه كتاب الخصائص، سر صناعة الإعراب وكتاب اللمع ، توفي سنة ٣٩٢ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج ٣ ص٢٤٦ ــ٢٤٧



PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أبو الفتح* في هذا دليل على صحة ما يذهب أصحابنا - يقصد البصريين- من أن القول المراد مقدر في نحوه، هذه الأشياء وإنه ليس كما يذهب إليه الكوفيون من أن الكلام محمول على معناه ويكون القول مقدرا معه [٣٢]

٦. إعمال إن النافية: أجاز إعمالها الكسائي وأكثر الكوفيين، قرأ سعيد ابن جبير[٣٣] قوله تعالى :M ¯ ° ± ² 3 ´ µ ¶ ¸ L [٣٤].

المحور الثالث: عناية النحاة بتوجيه القراءات القرآنية في ضوء العربية خدمة للقرآن

ثمة ارتباط وثيق بين القراءات القرآنية ولهجات القبائل العربية القديمة ، وقد كان من حكمة نزول هذه القراءات أن يسرت تلاوة الوحي الكريم والتعامل معه وفق اللسان العربي وتعددت لهجاته على نحو واسع ، وفي الفترة التي سبقت نزول القرآن كان للهجة قريش السيادة على اللهجات العربية القديمة الأخرى في شبه الجزيرة العربية ، وقد بلغت قريش هذه المنزلة بعد مراحل عديدة من احتكاك اللهجات العربية بها ، ذلك بفضل موقعها الديني ، فهي المشرفة على خدمة الكعبة المشرفة، وتهفو إليها أفئدة العرب جميعا ، وبفضل النشاط التجاري الذي كانت قريش تعقده في حواضرها ، فكانت اللهجة القرشية تستقي من لهجات القبائل ما تحتاج إليه من صفوة اللغات حتى تم تكوينه قبيل نزول الوحي والحق أن هذا التطور التاريخي للهجة قريش التي نزل بها القرآن كان محمدة العرب جميعا، وذلك لأن هذه اللهجة أصبحت لغة الأدب والشعر، وقاسما مشتركا لدى جميع القبائل ، ولو كانت لهجة قريش مقصورة عليها غير معهودة عند العرب لما استطاعت هذه القبائل أن تحقق الانتفاع بالقرآن الكريم والتعامل معه لأنه بلهجة غير لهجتهم[٣٥]

وبذلك صار تحدي القرآن الكريم موجها للعرب جميعا، وهو الغرض الذي نزل من أجله ، فهو معجز ،[٣٦] وقد بذل النحاة جهدا فائقا لخدمة القرآن الكريم بمختلف قراءاته المتواترة والشاذة ، فوجهوها بالتعليل المستند إلى الأصول المعتمدة عندهم، واستشهدوا على ذلك بالشواهد الفصيحة التي جمعوها من البوادي عبر رحلاتهم العلمية المديدة، وقد استندوا إلى هذه القراءات في تأصيل قواعدهم، وإرساء معالم الصناعة النحوية والصرفية، وضبط مفردات اللغة .

ومن المعلوم أن للقراءات الصحيحة شروطا ومعايير تجعلها مقبولة، وقد اعتمدها القرَاء ووافقهم فيها النحاة واللغويون والبلاغيون، واستنبطوا منها الأصول التي بنوا عليها علومهم ، وما خالف شروط القراءة الصحيحة عدوه شاذا ، وقد تحدث ابن جني عن الاحتجاج بالنوعين في مقدمة كتابه (المحتسب)[٣٧] فذكر ضربا اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار، وهو ما أودعه ابن مجاهد في كتابه الموسوم ب (القراءات السبعة) ، وهو بشهرته غني عن تحديده ، فسماه أهل زماننا شاذا، أي : خارجا عن قراءة القُراء السبعة ، إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه، لعله أو كثير منه مساو في

---

(٣٢) ابن جني ، أبو الفتح عثمان (١٩٩٨) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ، دار الكتب العلمية ، ص ٣٧٩ .

(٣٣) السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد، جلال الدين، أبو الفضل(١٤١٨هـ، ١٩٩٨م) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، ج٢، تحقيق عبد العال سالم المكرم ، دار المعارف للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ،ص١١٦.

(٣٤) سورة الأعراف ، الآية ١٩٤

(٣٥) عبد العال سالم مكرم (١٩٧٨) أثر القراءات في الدراسات النحوية، مؤسسة علي جراح الصباح ، الكويت، ص١٦.

(٣٦) المصدر نفسه، ص ١٧.

(٣٧) ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ، مرجع سابق، ص٣٢.



PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصاحة للمجتمع عليه، نعم وربما كان فيه ما تلطف صنعته ، تصنف بغيره فصاحته، وترسو به قدم إعرابه ... لكن غرضنا منه أن نرى فيه وجها قويا في ما يسمى شاذا، وإنه ضارب في صحة الروايـــة ، ... وأن العدول عنه إنما هو غض منه أو تهمة له.[٣٨]

فالقراءات المتواترة والشاذة حجة عند أهل العربية ، وإن كانت الأولى أعلى قدرا وقد صنف علماء العربية ثلاثة أنواع من المصنفات لخدمة القراءات في ضوء صناعتهم : الضرب الاول يختص بالمتواتر ومنه (الحجة للفارسي، والضرب الثاني : يختص بالشاذ، ومنه ( المحتسب) لابن جني ، و(إعراب القراءات الشاذة (العكبري) ، والضرب الثالث: يجمع بين المتواتر والشاذ منه (البحر المحيط)لأبي حيان و(الدر المصون) للسمين الحلبي ويبدأ كل مصنف من هذه المصنفات بذكر صاحب القراءة وضبط قراءته ، ثم يشرع في توجيهها حسب قوانين الصناعة ويعربها ويشرح معناها؛ ويستشهد عليها من شعر العرب ونثرهم، و قد يجتهد في إيجاد وحدة معنوية بين قراءتين أو أكثر، وقد لا يكون ثمة وحدة فيسعى المؤلف في التوجيه الذي يراه في ضوء علوم العربية المختلفة من لغة ونحو وصرف وبلاغة ، ويمكننا أن نضرب ثلاثة أمثلة يمثل كل مثال منهجا من مناهج التأليف المذكورة ، ذكر الشيرازي في (الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها) أن حمزة وحده قرأ (أسرى) في قوله تعالى: M 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E L [٣٩] بغير ألف وذلك لأن (أسرى) أقيس من (أسارى) لأن (فعيلا) إنما جاء جمعه على فعلى نحو: (قتيل) و(قتلى)، (جريح) و(جرحى) ، وأصل ذلك إنما يكون لما كان بمعنى (مفعول) وقد حمل عليه أشياء وقفت مقاربة له في المعنى نحو: (مرضى) ، لهؤلاء المبتلين بهذه الأشياء التي وقعت على غير اختيارهم ، شبهوهم(بالجرحى) ، إن كانوا أيضا كذلك، وقرأ الباقون (أسارى) ووجه ذلك أن (أسيرا) جمع ههنا على ( أسارى) تشبيها بكسالى لما كان الأسير ممنوعا عن الكثير من تصرفه شبه بالكسلان الذي يمتنع عن ذلك، بما فيه من العادة المذمومة التي هي الكسل ،فلما أشبه في المعنى شاركه في الجمع على فعالي[٤٠] ويخرج ابن جني في كتابه (المحتسب في تبيين شواذ القراءات ) قراءة الحسن ومجاهد وطلحة بن مصرف وعيسى الهمداني (وقودها الناس) في قوله تعالى:M فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ × L [٤١] وذلك أن الوقود بالضم في المصدر لقولهم وقدت النار وقودا، ومثل أولعت به ولوعا ، وهو حسن القبول، لكنه شاذ والأصل هو (الضم) ويأتي ابن جني بتخريجات أخرى لهذه القراءة على منهجه في الاستشهاد بلغات العرب وأشعارها وأشار صاحب (الدر المصون) [٤٢] إلى ست وعشرين قراءة في قوله تعالىM D E L [٤٣] وبدأ يعزو كل قراءة إلى

---

(٣٨) الشيرازي ،إبراهيم بن غلي بن يوسف، (١٤٠٨هـ) الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت، ج١ ، ص ٢٨٨.

(٣٩) سورة البقرة ، الآية ٨٥ .

(٤٠) الشيرازي ، الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، ج١، دار الكتب المصرية ، مصر ، القاهرة ص ٢٨٨.

(٤١) سورة البقرة ، الآية ٢٤

(٤٢) السمين الحلبي ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ) الدر المصون في علوم الكتـــاب المكنـــون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، ج٥ ، ص ، ٤٩٦.

(٤٣) سورة الأعراف، الآية ١٦٥.



PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أصحابها ، ثم عنى بضبطها ضبطا مفصلا ، ثم مضى يخرج كل قراءة على حده سواء كانت متواترة أم شاذة في ضوء الصناعة العربية ليكون لها وجه من القبول والتوجيه ، ثم ذكر أن أبا البقاء العكبري أضاف أربع قراءات أخر ، وختم كلامه بقوله:هذه ست وعشرون قراءة في هذه اللفظة، وقد حررت ألفاظها وتوجيهاتها بحمد الله تعالى(٤٤).

هكذا اشتغل النحاة بتوجيه القراءات القرآنية ، وليس غريبا أن يكون النحاة الأوائل الذين بنوا صرح هذا العلم هم من القراء كأبي عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر ، والخليل بن أحمد الفراهيدي ، ولعل اهتمامهم بهذه القراءات دفعهم إلى الدراسة النحوية المفصلة لكي يلائموا بين ما سمعوا من القراءات وما رأوا من كلام العرب (٤٥)

وقد اجترأ بعض النحاة والمفسرين على تضعيف طائفة من القراءات المتواترة التي خالفت أصولهم المقررة في اللغة ، أو النحو والصرف كما اجترأوا على رميها بالتخطئة ، أو الخروج عن سنن العربية مما جعل فريقا آخر من النحاة يردون عليهم يثبتون خطأ هذا المنهج في التسرع إلى تضعيف قراءات تشمل على شروط القراءة المتواترة ، وفي هذا الإثبات والرد على المتسرعين محمدة حفظت لهذه القراءات هيبتها ، واستنادها إلى وجه صحيح ، فالحكم على رفض ما تواتر بحجة واهية ليس بالأمر السهل ، وبذلك أصبح علم توجيه القراءات علما أصيلا يرد على الطاعنين، ويجيب عن تعليلها الذي يبين وجهها في المعنى أو الصناعة (٤٦)

من ذلك قوله تعالى:M i j L (٤٧) فقد روى عن أبي عمرو بن العلاء في الهمزة الكسر والاختلاس، وهو الإتيان بحركة خفية والسكون المحض وهذه الأخيرة قد طعن عليها جماعة من النحويين ، ونسبوا راويها إلى الغلط على أبي عمرو ، قال سيبويه : إنما اختلس أبو عمرو فظنه الراوي سكونا ولم يضبط (٤٨) وقال المبرد: ولا يجوز التسكين مع توالي الحركات في حرف الإعراب في كلام ولا شعر ، وقراءة أبي عمرو لحن وبعد أن عرض صاحب الدر المصون القول في تلحين القراءة وتضعيفها انبرى للرد عليهم بصواب قراءة أبي عمرو بن العلاء فيقول : وهذه جرأة من المبرد وجهل بأشعار العرب ، فإن السكون في حركات الإعراب قد ورد في الشعر كثيرا، ومنه قول امرئ القيس (٤٩)

اليوم أشربُ غَيْر مُسْتَحْقِبٍ
إثمًا من اللَّهِ ولا وَاغِلِ

فسكن ( أشرب) وقال جرير :

سيروا بني العمِّ فالأهوازُ منزِلُكم

(٤٤) السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، مرجع سابق، ص٤٩٧.
(٤٥) عبد العال سالم ، أثر القراءات في الدراسات النحوية، دار المعارف، مرجع سابق، ص ٥٥
(٤٦) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، مرجع سابق ، ص٣٦١.
(٤٧) سورة البقرة ، الآية ٥٤
(٤٨) سيبويه ، أبو بشر عمر بن قنبر(١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م) الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون ، ج١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ٢٩٧.
(٤٩) امرؤ القيس ، حندج بن حجر بن الحارث (١٤٢٥ هـ-٢٠٠٤م) الديوان ، شرح وتحقيق: محمد الإسكندراني، ونهاد رزوق ، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان، ص ١٢٢.



PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ونهرُ تيرَى فما تعرفْكم العَرَبُ [٥٠]

فسكن (فما تعرفكم) فهذه حركات إعراب وقد سكنت، وقراءة أبي عمرو صحيحة ، وذلك أن الهمزة حرف ثقيل، ولذلك اجترئ عليها بجميع أنواع التخفيف، فاستثقلت عليها الحركة ، فقدرت ، وهذه القراءة تشبه قراءة حمزة قوله تعالى:M ± L [٥١] فإنه سكن همزة السين وصلا، والكلام عليها واحد ، والذي حسنه هنا أن قبل الهمزة (ياءا) مكسورة ، و(الياء) حرف تكرير، فكأنه توالى ثلاث كسرات ، فحسن التسكين، وليت المبرد اقتدى بسيبويه في الاعتذار عن أبي عمرو بن العلاء في عدم الجرأة عليه ، وجميع رواية أبي عمرو دائرة على التخفيف، لذلك يدغم المثلين والمتقاربين، ويسهل الهمزة [٥٢]

وهكذا نصل إلى أن علماء العربية خدموا قراءات القرآن الكريم بالتوجيه والشرح ، وبينوا أصولها، وحققوا في صلتها بقواعدهم الصناعية، وردوا على المجترئين عليها بالتلحين أو التضعيف، وتجاوزوا المتواتر منها إلى الشاذ، وتعددت مناهجهم وطرقهم في هذا السبيل.

**الخاتمة**

الحمد الله الذي وفقنا لكتابة هذه الدراسة(النحاة والاستشهاد بالقراءات القرآنية) التي كان مجمل القول فيها. وهي تدل على عناية علماء النحو بالقراءات القرآنية ، واهتمامهم بكثير من أحكامها ودقائقها . ومن خلال تفصيل هذه الدراسة خرجنا **بنتائج** أهمها :

١. لم تكن الخلافات النحوية في مجال القراءات وقفا على البصريين أو الكوفيين بل تجاوزت ذلك إلى المذاهب الفردية والآراء الشخصية لمشاهير النحاة مثل الكسائي وسيبويه ، حيث كثر بينهم الجدل حول هذه القراءات .
٢. منهج الكوفيين في الواقع أسلم وأصح في ميدان القراءات من منهج البصريين لأنهم ذهبوا إلى أن اتخاذ القراءات مصدرا للاستشهاد يغني اللغة ، ويزيد من رصيدها ، ويجعلها غنية بأساليبها على الدوام .
٣. كان من حكمة نزول هذه القراءات أن يسرت تلاوة الوحي الكريم والتعامل معه على الرغم من أن اللسان العربي تعددت لهجاته على نحو واسع .
٤. حرص بعض النحاة والمفسرين على تضعيف طائفة من القراءات المتواترة التي خالفت أصولهم المقررة في اللغة أو النحو والصرف كما اجترأوا على رميها بالتخطئة ، أو الخروج عن سنن العربية مما جعل فريقا آخر من النحاة يردون عليهم يثبتون خطأ هذا المنهج في التسرع إلى تضعيف قراءات تشتمل على شروط القراءة المتواترة ، وفي هذا الإثبات والرد على المتسرعين محمدة حفظت لهذه القراءات هيبتها ، واستنادها إلى وجه صحيح.
٥. اعتمد النحاة واللغويون والبلاغيون على القراءات الصحيحة شروطا ومعايير تجعلها مقبولة ، واستنبطوا منها الأصول التي بنوا عليها علومهم ، وما خالف شروط القراءة الصحيحة عدوه شاذا .

**التوصيات**

١. إخضاع المسائل النحوية التي تكون مثار خلاف إلى لغة القرآن وهي الفيصل والحكم .

---

([٥٠]) جرير بن عطية الخطفي(١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦) الديوان، دار صادر، لبنان، بيروت، ص٤٨.
([٥١]) سورة فاطر ، الآية ٤٣.
([٥٢]) محمد زغلول سلام(د.ت) أثر القراءات في تطور النقد العربي ، ط٣، دار المعارف ، ص١٩٤.



PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٢. نوصي بفتح آفاق جديدة لبعض الظواهر الصرفية للغة القرآن الكريم والاستشهاد بها مما يعين على التأمل والتدبر .

## المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١. ابن الجزري، علي بن الكرم بن محمد بن عبد الكريم (١٣٤٥هـ) النشر في القراءات العشر تصحيح علي محمد الضباع ، ج١، دار المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
٢. ابن قتيبة ،عبد الله بن مسلم (٢٠٠٧م- ١٤٢٨هـ) تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت.
٣. الملتقى المغربي المغربي للقرآن الكريم،http://www.maroc-quran.com/vb / تاريخ المشاهدة ٢٤/نوفمبر ٢٠١٢م.
٤. ابن الأنباري، كمال الدين ابو البركات عبد الرحمن (١٩٨٥م) الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ج٢، دار الكتب العربية ، القاهرة.
٥. سعيد الأفغاني (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، أصول النحو، مديرية الكتب و المطبوعات الجامعية ، ط٢، سوريا ، دمشق.
٦. ابن الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، مرجع سابق ج١ ، المسألة ٣٢، ص٢٥٤.
٧. ابن جني ، أبو الفتح عثمان (١٩٩٨) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ، دار الكتب العلمية .
٨. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد، جلال الدين، أبو الفضل(١٤١٨هـ، ١٩٩٨م) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، ج٢، تحقيق عبد العال سالم المكرم ، دار المعارف للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان.
٩. عبد العال سالم مكرم (١٩٧٨) أثر القراءات في الدراسات النحوية، مؤسسة علي جراح الصباح، الكويت.
١٠. الشيرازي ،إبراهيم بن غلي بن يوسف، (١٤٠٨هـ) الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها ، ج١، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت.
١١. السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، ج٥، دار القلم ، دمشق ، سوريا.
١٢. سيبويه ، أبو بشر عمر بن قنبر(١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م) الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون ، ج١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٣. امرؤ القيس ، حندج بن حجر بن الحارث (١٤٢٥ هـ-٢٠٠٤م) الديوان ، شرح وتحقيق: محمد الإسكندراني، ونهاد رزوق ، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان.
١٤. جرير بن عطية الخطفي(١٤٠٦هـ ١٩٨٦) الديوان، دار صادر، لبنان، بيروت.
١٥. محمد زغلول سلام(د.ت) أثر القراءات في تطور النقد العربي ، ط٣، دار المعارف.



PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com